الأصول والفروع

لابن حزم الأندلسي

الجزء الأول

تحقيق وتقديم وتعليق

دكتور محمد عاطف العراقي

دكتورة سهير فضل الله أبو وافية
مدرسة الفلسفة الإسلامية
بكلية البنات - جامعة عين شمس

دكتور ابراهيم ابراهيم هلال
مدرس الدراسات الإسلامية
بكلية البنات - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٩٧٨

الناشر
دار النهضة العربية
٣٩ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

مطبعة حسان
٢٤ شارع الجيش - القاهرة ت ٨٣٣٥٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

يسعدنا أن نتقدم إلى العالم الإسلامى وإلى القارىء العربى والمهتمين بالدراسات الإسلامية والفلسفية بكتاب (الأصول والفروع) لابن حزم الأندلسى ننشره لأول مرة بعد أن ظل محجوباً عن معظم الدارسين والقارئين قرابة تسعمائة عام، أى من عهد حياة مؤلفه، إذ أنه لم يحظ بما حظيت به كتب ابن حزم من الذيوع والانتشار مثل كتاب المحلى، أو الإحكام فى أصول الأحكام، أو (الفصل فى الملل والنحل)، وإن كان كتاب اليوم لا يقل فى أهميته عن كتاب الفصل، وربما فاقه، بما اشتمل عليه من دقة التحليل وتشعب الموضوعات، واستقصاء كل جزئياتها، وظهور نضج ابن حزم العلمى والعقلى فيه أكثر من الفصل. وربما كان لسبق الفصل فى التأليف أثر فى ذلك إذ كان أول ماتلقاه الناس من ابن حزم فى هذا الموضوع فشغلوا به وجدوا وراء عنوانه الذى سماه به (الفصل فى الملل والنحل) دون هذا الكتاب الذى لم يستطع عنوانه: (الأصول والفروع) أن يجتذب الجمهور الأكبر كما استطاع العنوان السالف

وقد اشتركنا فى إخراج هذا الكتاب على الوجه الآتى:

قام الدكتور إبراهيم هلال، بالتعريف بالكتاب، وتقديم المنهج والعمل وتوثيق نسبة الكتاب إلى ابن حزم، وتحقيق الأبواب من أول: (باب فى صفة الإيمان والإسلام) إلى باب: (فصول تعترض بها جهلة الملحدين على ضعف المسلمين)، والتعليق عليها.

وقام الدكتور عاطف بالأبواب من أول : (باب فصول تعترض بها جملة الملحدين إلخ) إلى (باب الكلام على من قال بقدم العالم وأنه لا مدبر له) .

وقامت الدكتورة سهير بكتابة المقدمة التي ترجمت لابن حزم فيها وعرفت بسيرته وحياته ثم بدراسة عن ابن حزم كرائد في علم مقارنة الأديان وباحث فيها من خلال كتابه هذا (الأصول والفروع) ؛ مع تحقيق الأبواب من : أول (باب : الكلام على من قال بقدم العالم ، وأنه لا مدبر له) إلى آخر الكتاب . إضافة إلى أنها صاحبة الفضل في إخراج هذا الكتاب وصاحبة المشورة في إخراجه ، ووضعتنا أمام الأمر الواقع في الإسراع بنشره ، حيث قدمت لنا مصورة المخطوطة مكبرة مطبوعة جاهزة للقراءة والدرس .

ثم اشتركنا أيضاً في عمل الفهارس على الكتاب كما هي ملحقة بالجزء الثاني .

والله نسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يكون له أثره في لفت أنظار الدارسين إلى ما اشتمل عليه القرآن الكريم والحديث الشريف من الخصوبة الفكرية و لأصول الحقيقية للإيمان وطريق الدعوة إليه ؟

ربيع الأول سنة ١٣٩٨ هـ .
فبراير سنة ١٩٨٨ م .

المحققون

تقديم

عن

سيرة ابن حزم ومصنفاته

للدكتورة سهير أبو وافية

هذا تقديم عن سيرة ابن حزم ومصنفاته ، أنشره اليوم كتقديم لكتابنا هذا موضع التحقيق ، وأنا وإن كنت قد قدمت بهذا الجزء لرسالتي للدكتوراه ، إلا أني رأيت أن أقدمه مع هذا الكتاب كتعريف بصاحبه في هذا الجانب الكلامي والفلسفي ، خاصة وأن هذا أول عمل أنشره لابن حزم ، أو أشترك في نشره .

وابن حزم شخصية إسلامية أندلسية ثرية غنية ، رحبة واسعة ، متعددة الجوانب متنوعة في اهتماماتها ، تميزت بالوضوح والجرأة والشموخ والعظمة .

حمل فنوناً عدة من حديث وفقه وجدل ونسب وتاريخ وأدب ومنطق وفلسفة . وقد ملأت مصنفاته في هذه العلوم والفنون آفاق الأندلس ، وقد أصبحت بها من ذخيرة وبأفكارها مهتمة مشغلة .

قال عنه تلميذه الحميدي « كان حافظا للحديث وفقهه ، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة متقنا في علوم جمة « عاملا بعلمه » .

أخبرنا عنه المراكشي قائلا « كان أشهر علماء الأندلس قاطبة ، وأكثرهم ذكراً في مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء » .

ومع ذلك فنجد أن اسم ابن حزم لم يبرز فى التأريخ العام للفلسفة وعلم الكلام كما برز الغزالى وابن تيمية ، ولم يحظ حظوة ابن رشد وابن ميمون ، على الرغم من إعجاب هؤلاء وتأثرهم به ، وقد امتد هذا التأثير إلى فلاسفة كثيرين قدماء ومحدثين .

وحقيقة يمكننا أن نقول إن عدم بروز ابن حزم كشخصية إسلامية لها أصالتها الفكرية وريادتها العلمية إنما يرجع فى الواقع إلى سببين .

أولهما : أن أسلوب ابن حزم وحماسه الدينى واندفاعه ونقده العنيف لكثير من المدارس الفكرية والفرق الكلامية وهجومه على الفقهاء والعلماء ساهم إلى حد كبير فى كراهية الجميع له وحقدهم عليه فتناسوه وتغافلوه ، فلم يقدروا علمه ولم يعرفوا فضله .

ثانيهما : أن نقد ابن حزم ومناقشته للأديان الأخرى وخاصة اليهودية والمسيحية قد أثار فى نفوس مؤرخى العصور الوسطى الحقد والغيظ فنبذوه وتجاهلوه ، حتى أنه عندما عرض مونك Munk للفلاسفة العرب فى أسبانيا ، ممن يهدوه على اسمه فلم يعطه حقه ولم يوفه حظه كأحد من أعلام العرب ، ومفكرى من أعظم مفكريها كان له الفضل فى تأسيس علم الأديان المقارن .

١ — اسمه، لقبه، كنيته :

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد[١] . ذكر هذا الاسم الكامل المؤرخون الشرقيون مثل القفطي[٢] وابن خلكان[٣] ، وياقوت[٤] ، والذهبي[٥] ، وابن كثير[٦]

أما المؤرخون والمترجمون الأندلسيون مثل صاعد[٧]، والضبي[٨]، وابن بشكوال[٩] فقد وقفوا عند جده غالب الذي ولد بالأندلس بعد أن نزح إليها جده خلف مع الفاتحين الأمويين ، ومع هذا يذكرون جميعاً أنه من سلالة فارسية ومن ذمة الأمويين .

أما الكنية التي بها عرف ابن حزم ، وأخبرنا بها هو نفسه في كتبه ، وأجمع عليها المترجمون فهي «أبو محمد[١٠]» .

---

(١) ابن حزم : التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية ص ٢ .

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ١٥٦ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٣ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ .

(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٤٦ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩١ .

(٧) صاعد : طبقات الأمم ص ٨٦ .

(٨) الضبي : بغية الملتمس رقم ١٢٠٤ .

(٩) ابن بشكوال : الصلة ص ٣٩٥ .

(١٠) جميع المراجع السابقة .

٢ — نسبته :

طاب لبعض المترجمين لحياة ابن حزم أن يطلقوا عليه ابن حزم الأندلسى[١] نسبة إلى بلاد الأندلس التى ولد بها وعاش على أرضها . ومال البعض إلى نسبته إلى قرطبة فقالوا « ابن حزم القرطبي »[٢] نسبة إلى مسقط رأسه ومهد طفولته ، ومكان إقامته الأولى . وكذلك ذكر البعض نسبته إلى فارس فقيل الفارسى »[٣] نسبة إلى بلاد فارس حيث كانت إقامة أجداده على نحوه ما سنبين بعد قليل .

٣ — أصله :

اختلفت المصادر فى حقيقة أصل ابن حزم على أربع روايات : تذكر الرواية الأولى أنه فارسى الأصل ، أصل آبائه من فارس ، رحل جده الأعلى خلف مع البيت الأموى إلى الأندلس حين رحلوا إليها وقد نص على هـذا الأصل الحميدى تلميذ ابن حزم فقال « على ابن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمد أصله من الفرس ، وجده الأقصى فى الإسلام اسمه يزيد مولى ليزيد ابن أبى سفيان[٤] » .

وقد نص على هذا الأصل الفارسى كل من المقرى والذهبي وابن العماد متابعين رواية الحميدى فى ذلك .

---

(١) الدكتور زكريا إبراهيم : ابن حزم الأندلس ، الدكتور طـه الحاجرى : ابن حزم صورة أندلسية ص ١٧ .

(٢) Arnaldez (Roger) ; Crammaire et the ologie chez Ibn HAZM de Courdoue Asin Pabcioc ; Abenhrzm de Cardoda,

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ١١٤٦ .

(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ص ٢٩٠ .

والرواية الثانية تتبع هذا الأصل بصورة أكثر حتى تصل إلى قريش . فيذكر ياقوت عنه « على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسى مولى يزيد بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس ، القرشى [1] » .

وذهب كذلك ابن خلكان إلى إثبات هذا الأصل فى قوله عنه « أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن صخر بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان يزيد ، مولى يزيد بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموى [2] » .

والرواية الثالثة ترجع أصله إلى الأندلس وتنكر الروايات السابقة وهى رواية ابن حيان معاصر ابن حزم وخصمه العنيد إذ قال فى هذا الصدد « كان من غرائبه ، انتماؤه فى فارس . وأتباع أهل بيته له فى ذلك بعد حقبة من الدهر ، تولى فيها أبوه الوزير المعقل فى زمانه الراجح فى ميزانه أحمد بن سعيد بن حزم لبنى أميـــة أولياء نعمته لا عن صحة ولاية لهم عليه فقد عهده الناس ، خامل الأبوة مولد الأرومة من هجم لبله ، جده الأدنى حديث عهد بالإسلام . حتى تخطى على هذا رابية لبله ، فارتقى قلعة اصطخر من أرض فارس والله أعلم كيف ترقاها [3] » .

وقد تابع ابن حيان فى هـــذه الرواية ابن سعيد [4] ، وكذلك أوردها

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٢ ص ٢٣٥ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٣ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٤٣ .

(٤) ابن سعيد : المغرب فى أخبار المغرب ص ٣٥٧ .

ابن بشكوال[١] .

وكذلك نجد كثيراً من الباحثين المحدثين عند تحقيق أصل ابن حزم قد اعتمدوا على رواية ابن حيان هذه رغم الخصومة والعداء الذى كان يكنه ابن حيان لابن حزم بسبب المنافسة بين والديهما لأنهما كانا يعملان معاً فى وزارة المنصور بن أبى عامر ، وكان والد ابن حزم يتميز عن والد ابن حيان الذى يدعى خلف بالكياسة وسعة العقل ، مما أدى إلى حقد ابن حيان على ابن حزم فحاول الغض من شأنه وغمره فى نسبه . وقد تابع كل من دوزى وجولد ذيهر ونيكلسون وبروكلمان وفان ارندنك وأرنلديز رواية ابن حيان هذه دون النظر إلى الروايات الأخرى التى ترجع أصله إلى فارس أو تلك التى تنص على أصله القرشى ، ومضوا فى أقوالهم ينسبونه إلى الأندلس فقالوا عنه إن أصل آبائه من قرية (منت ليشم) ، وأنها على مسيرة فرسخ من لبله على مصب نهر أوبال فى كوره لبله وأن جده الأعلى كان نصرانيا اعتنق الإسلام[٢] .

وحقيقة لا ندرى قصدهم من وراء ذلك فهل رغبوا فى نسبة ابن حزم إلى أسبانيا تعصبا منهم لغربيتهم أم ضنا على العرب بعبقرية يملكون قدرها ؟

وللأسف نجد بعض المحدثين العرب قد أخذوا برواية هؤلاء المستشرقين ، فذهب الدكتور طه الحاجرى إلى أن « ابن حزم خرج من أسرة من أهل أسبانيا الغربية ، كانت تقيم فى ليلة وكانت تدين بالنصرانية ، وظلت على نصرانيتها بعد الفتح الإسلامى أمداً غير قصير حتى اعتنق جده الأكبر حزم ، الذى يحمل اسمه وينتسب إليه صاحبنا الإسلام ، فى منتصف القرن الثالث الهجرى فيما نقدر »[٣] .

---

(١) ابن بشكوال : الصلة جـ ٢ ص ٣٩٥ .

(٢) فان أرندنك : دائرة المعارف الإسلامية جـ ١١ ص ٤٠٧ .

(٣) الدكتور طه الحاجرى : ابن حزم صورة أندلسية ص ١٧ .

وكذلك تمسك بهذا القول الدكتور أحمد الحردلو فى دراسته عن ابن حزم[١] ، وأغفل كل رواية تخالف هذا القول .

ونلاحظ كذلك أن المرحوم الدكتور طه حسين قد حدد أسبانية ابن حزم أو بالأحرى أندلسيته بطبيعة الحياة التى عاشها وفى آثاره التى تركها فقط لاغير أى أن ابن حزم أسبانى الموطن[٢] .

أما المستشرق أسين بلاثيوس فإن كان قد عرض لكل الروايات التى تحدثت عن أصل ابن حزم إلا أننا نجده لم يستطع أن يجزم بأصل ابن حزم الأسبانى فقال عنه « ويبدو أنه من أصل أسبانى كابن مسرة لولا أن بعض المؤرخين يصلون نسبه بفارس »[٣] . أى أنه يأخذ فى الاعتبار الرواية الأولى التى تنص على فارسية ابن حزم ، ولكننا مع ذلك نلمس من ثنايا أقواله أنه يميل إلى نسبة ابن حزم إلى أسبانيا .

أما المستشرق جارثيا جومز فقد قال فى هذا الصدد « إننا لا نألف غموضا يحيط بأصل أسرة ابن حزم إذ من الواضح على الرغم من أنه ليس يقينا ، أن ابن حزم من أصل اسبانى ، وأن سلسلة العائلة مسيحية دخلت الإسلام ، ومسقط رأسه أولبانى قرية من قراها اسمها منت ليشم ، واسمها حاليا كاسا موتيجا Cassa Montija[٤] .

---

(1) El Hardallo (IAC.) : Ibn HAZM'S attitude to and Critticism of the Hebrew Bible Bassed upon acritcal edtiou of the Section on the Pentatench of his Kitab alfisal. Cambridge Un eversity on 1969 :

(٢) الدكتور طه حسين : إلوان ص ١٠٢ .

(3) Asin Palacios : Abenhazm de Cordaba y su historica crihca de les ideas riligiosas, Voll p. 5

(4) Carcia Comez . The Collore de Paloma Poesia arabica andaluza Madri 1952. p3.

وكذلك نجد خوسيه دي جاسيت في تقديمه للترجمة الأسبانية لطوق الحمامة يقول عن ابن حزم انه أسباني الأصل حيث ولد وعاش على أرض أسبانية[١] . فهذه الروايات جميعا تحاول أن ترجع أصل ابن حزم إلى أسبانيا دون تحقيق لصحة هذا الأصل ، وهو ما سنقوم به بعد قليل .

أما القول الذي انفرد به المستشرق الإيطالي جبريلي عن ابن حزم فهو قوله عنه أنه ينحدر من أصل يوناني ، جرياوراء نسبة كل عبقري إلى اليونان وكأن اليونان هي وحدها موطن العباقرة[٢] .

ولكي نحسم الجدال والخلاف الذي قام حول حقيقة أصل ابن حزم فلنرجع إلى قول ابن حزم نفسه وقد صرح بأصله وخاصة وأننا نجد البروفسور watt عند مناقشة هذا الأصل في كتابه « تاريخ أسبانيا الإسلامية »[٣] يرجح قول ابن حزم عن نفسه لأنه نسابة محقق ومؤرخ فلا يمكن أن ينسب إلى نفسه أصلا غير صحيح لا يتفق والواقع .

وقد صرح ابن حزم بأصله العربي القريشي ونسبه الفارسي في أحد قصائده قائلا :

سما بي ساسان دارا وبعدهم ... قريش العلى أعياصها والمنابس

فما أخرت حرب مراتب سؤددي ... ولا قعدت بي عن ذوي المجد فارس

هنالك مجد الدهر طالت فروعه ... فهن مواضي صعد لا نواكس

---

(١) المرجع السابق ، المقدمة .

(٢) Gabrieli : Storia dalla litter ture arab Hilans 1962 1957

(٣) W.M. Watt : Aistory cf Islamic Cpain p 134 1965

ملكنا ملوك الأرض فى كل جانب مجدنا وبنا الحد دالأواكس[١]

هذا هو قول ابن حزم عن أصله ونسبه ، فالأصل عربى قريشى ، حيث الأجداد الأعياص والعنابس[٢] ، وهم أبناء أمية بن عبد شمس القرشى كما سبق أن جاء فى السلسلة الكاملة لاسمه ومن العنابس كان أبو سفيان الذى صرحت التراجم بأن جد ابن حزم الأعلى يزيد مولى ليزيد بن أبى سفيان .

والمولى هنا يجب ألا يفهم منه إلا معنى ابن العم أو القريب كما أوضحت ذلك القواميس[٣] حيث قال الشاعر العربى :

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا أمشوا رويداً كما كنتم تكونونا[٤]

وبذلك يكون جد ابن حزم الأقصى يزيد هو ابن عم يزيد أبى سفيان بن عبد شمس من بطون قريش . وقد أكد ذلك ابن حزم نفسه فى كتابه جوامع

---

(١) انظر ديوان ابن حزم الذى نشره الدكتور إحسان عباس فى كتاب تاريخ الأدب الأندلسى عصر سيادة قرطبة ص ٣٨٥ .

(٢) ذكر القلقشندى فى كتابه نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب أن حرب ابن أمية كان له عشرة أولاد أربعة يسمون الأعياص ، وستة يسمون العنابس وكان من العنابس أبو سفيان الجد الأعلى لابن حزم . أنظر ص ٨٣ .

(٣) ذكر الزبيدى فى تاج العروس جـ ١٠ ص ٣٩٩ ، والنووى فى تهذيب الأسماء واللغات جـ ٢ ص ١٦٦ . أن اسم المولى يقع على معان كثيرة تبلغ ستة عشر معنى . هى الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمنعم عليه ، والمعتق وكل واحد منها يظهر معناه حسب ما يقتضيه الحديث الوارد ، وهكذا يكون معنى المولى هنا ابن العم أو القريب حيث ذكر ابن حزم الاعياص والنابس .

(٤) الزبيدى : تاج العروس جـ ١٠ ص ٣٩٩ .

السيرة إذ ذكر أن ابن عبد شمس من صليبة قريش[١] .

وبهذا يتأكد صحة الأصل القرشي العربي .

أما قول ابن حزم :

فما أخرت حرب مراتب سؤددي ولا قعدت بي عن ذوى المجد فارس[٢]

فهو يعني أن نسبته إلى فارس نسبة فتح لا نسبة أصل إذ أن الأصل قد أوضحه في البيت الأسبق وبذلك يكون أجداده قد شاركوه في فتح فارس زمن عمر بن الخطاب حين فتح المسلمون بلاد الفرس . وقد قيل في هذه المناسبة :

أنا زهير وابن عبد شمس طعنت ذا التاج رئيس الفرس

أي أن عبد شمس قد شارك في فتح بلاد فارس وأقام بها ، إذن فنسبة ابن حزم إلى فارس هي نسبة إقامة لا نسبة أصل ، وهذا يقوى بقوله :

ملكنا ملوك الأرض في كل جانب مجد منا وبنا الحدود الأواكس

ويصح أن نضيف توكيداً لما انتهينا إليه من أن هناك عديد من العلماء ينسبون إلى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية كأبي الفرج الأصفهاني ، وبديع الزمان الهمزاني وفخر الدين الرازي ، الذين أثبت صحة نسبهم العربي الأستاذ ماجي معروف في بحثه[٣] .

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام هارون ص ٤٦٤ .

(٢) ديوان ابن حزم أنظر تاريخ الأدب الأندلسي ص ٣٨٥ سنة ١٩٥٩ بيروت لبنان .

(٣ ماجي معروف : علماء ينسبون إلى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية. أنظر مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد ٨ سنة ١٩٦٥ .

ولذلك فقول الدكتور إحسان عباس ان ابن حزم فارسى[١] لا يتفق وشواهد الأمور لأن النسبة هنا نسبة إقامة لا نسبة أصل حيث أقام كثير من المسلمين هناك ؛ وكذلك ليست نسبة موالى لأن موالى الفرس كانوا يعادون الدولة الأموية ويظاهرون الثائرين عليهم رغبة منهم فى إسقاطها ، نتيجة لما أشاعته مذبحة كربلاء من ذعر فى العالم الإسلامى[٢] ، وهذا العداء لا يتفق مع تشيع أجداد ابن حزم للدولة الأموية ومناصرتهم لها .

ومن كل ما سبق بيانه نؤكد أن ابن حزم عربى أصيل مسلم عميق فى الإسلام ، وليس كما زعم البعض من نسبه إلى فارس أو إلى الأندلس ليؤكدوا مسيحيته ويرجعوا نقده المسيحية بعقدة كان يشعر بها[٣] .

* * *

٤ — مولده :

ذكر صاعد عن أبى الفضل بن رافع عن والده ابن حزم إنه « كتب بخط يده تاريخ ميلاده ؛ حدد فيه اليوم والساعة بأنه قبل طلوع الشمس بعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بطالع العقرب »[٤] .

وقد أجمع كتاب سيرة ابن حزم على هذا التاريخ ، ولم يختلف فى هذا

---

(١) الدكتور إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص ٣٨٥ .

(٢) الدكتور حسين مجيب المصرى : صلات العرب والترك ص ٨٣ .

(٣) El Hardalle : Ibn HAZM,s attitude to and criticism of the Hebrew basssd upon acritical edtion p. 5

(٤) صاعد : طبقات الأمم ص ٨٦ .

إلا بروكلمان حيث ذكر مولد ابن حزم فى يوم ثلاثين من رمضان سنة ثلاث وتمانين وثلاثمائة أى ٨ نوفمبر سنة ٩٩٣ م[١]. ويظهر من هذا التاريخ الذى حدده بروكلمان أن هناك خطأ أو تحريف وقع فيه يقدر بنحو عام والحقيقة أن التاريخ الذى نقبله ونراه هو ما ذكره صاعد عن رواية أبى الفضل عن والده ابن حزم نفسه وبالتالى يكون مولده هو آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من رمضان عام ٣٨٤ هـ الموافق ٧ نوفمبر عام ٩٩٤ م .

وإن هذا التحديد الدقيق لميلاد ابن حزم بالساعة واليوم والشهر والعام إنما يمكن أن يدل على مكانة أسرة ابن حزم وعلو شأنها ورقيها فى هذا العصر .

• — مكان مولده :

تتفق كلمة المؤرخين على أن ابن حزم ولد بقرطبة بالجانب الشرقى من منية المغيرة ولقد قيل ابن حزم القرطبي نسبة إلى مسقط رأسه قرطبة ؛ كما سبق أن أوضحنا . وقد سجل هذا ابن حزم نفسه فى رسالته فضل علماء الأندلس وهو بصدد الحديث عن قرطبة فقال إن قرطبة « مسقط رءوسنا ومعقد تمائمنا »[٢].

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ص ٦٩٠ .

(٢) ابن حزم : رسالة فضل علماء الأندلس المنشورة فى كتاب الدكتور إحسان ، تاريخ والأدب العربى عصر سيادة قرطبة ص ٣٥٢ سنة ١٩٥٩ .

بيئة ابن حزم الخاصة :

تجمع الروايات على أن موطن آباء ابن حزم هو قرية « منت ليشم » وهى على مسيرة نصف فرسخ من « ولبه »[١] على مصب نهر أوبال فى كوره لبلة « Neibala » من غرب الأندلس[٢] .

وكذلك تجمع مصادر كثيرة على أن هذه القرية كانت ملكا موروثا لعائلة ابن حزم ، وقد ضبط ابن خلكان اسمها بقوله « منت ليشم — وهى قرية من أعمال لبلة كانت ملك ابن حزم ... وكان يتردد إليها »[٣] .

وقد أوضح ياقوت نوعية هذا الملك بما لا يقبل الشك فقال : أنها ملكه وملك سلفه من قبله »[٤] .

ومن الروايات التاريخية نرى أن العرب الفاتحين ومواليهم استأثروا بالأراضى الخصبة الواقعة فى الجنوب ، وأعطوا البربر المناطق الشمالية ، وهى مناطق جبلية قليلة الحضارة ، مما أثار حفيظة البربر منذ البداية . ومن هنا يمكن القول بأن ما أحاط بأصل ابن حزم وآبائه وملكية سلفه لقرية « منت ليشم » قد فتح الباب أمامنا لكى نظن بحق أن « لبلة » هذه كانت مقام خلف البعد الأول الداخل إلى الأندلس .

---

(١) أنظر هذا البحث ص ٣ .

(٢) أنظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ١٣٦ ، ياقوت معجم الأدباء جـ ١٢ ص ٢٣٧ .

(٣) ابن خلكان : معجم البلدان جـ ٣ ص ٦٦ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٢ ص ٢٤٠ .

وأياً ما كان فقد بقيت أسرة ابن حزم تعيش فى هذه المنطقة الخصبة معيشة لا نكاد نعرف عنها شيئا ، إذ لا تسعفنا المصادر بمعلومات واضحة عن هذه الأسرة التى أنجبت أبا محمد بن حزم وابن عمه الوزير الكاتب أبا المغيرة عبد الوهاب ، وإن كنا نرى أن هذه الأسرة وعلى رأسها والد ابن حزم أبو عمر وابن عمه أبو المغيرة ، وجميعهم من الوزراء الكتاب ، كانت على أرث من علم ونباهة وأحوال معايشه مكنت للوالد ثم للابن من بعده أن يكونا من أعلام الدولة الأموية بالأندلس .

ومن هنا يمكننا أن نرد قول ابن حيان عن ابن حزم أنه مولد الأرومة من عجم « لبله »[1] لأن تحامل الشيخ أبى مروان بن حيان على ابن حزم واضح جلى ، وقد أشرنا من قبل إلى سبب هذا التحامل من جانبه على ابن حزم ، ومع ذلك يمكننا أن نقول أن الجد الذى انتسب إليه أبو محمد أى ابن حزم قد لعب دوراً مرموقا فى تاريخ الأسرة ، وأنه لم يكن رجلا مغموراً بطبيعة الحال ، بالقياس إلى رجال الدولة فى ذلك المجتمع القرطبي ، بل كان فيما نحسب رجلا مذكوراً بين الناس ، جديراً بأن ينتسب إليه ويعرف به ، ويحمل اسمه أبناؤه وأحفاده وسلالته[2] .

ومع ذلك فلا يمكننا أن نقول متى انتقلت هذه الأسرة إلى قرطبة ؟ وما الدافع إلى ذلك . وإن كنا نستطيع أن نستنتج أنه ربما كان الانتقال إلى قرطبة فى عهد محمد بن عبد الرحمن الثانى ٢٣٨ — ٢٧٣ حيث انفرد ياقوت بذكر الرواية التالية إذ يقول « قرأت بخط أبى بكر محمد بن طرخان

---

(١) ابن بسام : الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ١٤٢ .

(٢) الدكتور الحاجرى : ص ٢٨ .

ابن بلكتبي بن يحكم قال : وقد قال لى أبو محمد ابن العربى : إن أباهحمد بن حزم ولد بقرطبة ، وجده سعيد ولد بأونبه ثم انتقل إلى قرطبة وولى فيها الوزارة ثم ابنه على الإمام ...»[١] .

ومن ثم أخذت أسرة ابن حزم مكانها الموموق فى الحياة السياسية ، عندما تولى أحمد بن سعيد بن حزم والد الإمام أبى محمد — أحد المناصب الوزارية فى الدولة العامرية ، إذ استوزره محمد بن عبد الله بن أبى عامر[٢] .

ويحدثنا ابن حيان عن أحمد بن سعيد والد بن حزم وعن مواهبه التى أهلته للوزارة ، وعن شخصيته الفذة فيصفه بقوله « الوزير المعقل فى زمانه ، الراجح فى ميزانه » وعن قدرته يقول « فأبوه أحمد على الحقيقة هو الذى بنى بيتا لنفسه فى آخر الدهر برأس رابيه ، عمده بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأى ... »[٣] .

كل هذه المقومات الشخصية كانت جديرة بأن تجعل منه وزيراً حصيفا لدى المنصور بن أبى عامر الذى أحاط نفسه بحشد من رجالات الأندلس النابهين ، منهم الشعراء والأدباء والعلماء ورجال الفقه . وكان أحمد بن سعيد والد ابن حزم من أقدر وزرائه وآثرهم لديه ، استوزره المنصور بن أبى عامر عام واحد وثمان وثلاثمائة ، وعرف المنصور كيف يستفيد من مواهبه الممتازة حتى أنه ليبدو أحمد فى نظر المنصور منافسا له عند الخليفة الأموى ، ومع ذلك كان موضع ثقته وإعجابه وكان يستخلفه على المملكة فى أوقات تغيبه

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ص ١٠٤ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ص ١٤٢ .

(٣) المرجع السابق نفس الموضع .

خارج البلاد ويعهد إليه بخاتمه[١] .

سكن الوزير أحمد حي قرطبة الذى يعرف باسم منية المغيرة بالقرب من الزاهرة التى بناها المنصور لنفسه .

ولد على أبو محمد وقد مضى على والده ثلاث سنوات وهو فى منصب الوزارة، أسس فيها لنفسه ولبيته مجداً وعزاً ، عاش وسطهما ابن حزم وتقلب فى أعطاف طفولة سعيدة هانئة ناعمة ، وقد عنى والده عناية تامة بتربيته وتوجيهه هو وأخيه أبى بكر « الذى كان يكبره وقد ولد سنة ٣٧٩ هـ[٢] . وتزوج وهو فى الرابعة عشرة من عمره من عاتكة بنت قند ، صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور أبى عامر محمد بن عامر ، ويصف ابن حزم زوجة أخيه هذه فيقول « وكانت لا مرمى وراءها فى جمالها وكريم خلالها ، ولا تأتى الدنيا بمثلها فى فضائلها »[٣] .

أما عن والدة ابن حزم فقد سكتت المصادر عن ذكرها حتى أن ابن حزم نفسه لم يذكر عنها شيئا على الرغم من اهتمامه بتسجيل التراجم والأمهات . وذكر زوجة أخيه كما مات فلماذا لم يذكر شيئا عن والدته ، ومن هنا يقوى الظن بأن ابن حزم لم يعرف والدته معرفة واعية حيث أشار فقط إلى نشأته بين يدى نساء قصر أبيه وجواريه اللاتى علمنه القرآن ورويته كثيراً من الأشعار، ودربنه على الخط ، وقد أتاحت له هذه النشأة معرفة الكثير عن النساء وشواغلهن وأسرارهن ، ويقول فى هذا الصدد « لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيرى ، لأنى ربيت فى حجورهن ، ونشأت

---

(١) الحميدى : الجذوة ، ص ٧٤ .

(٢) توفى أبو بكر بقرطبة فى شهر ذى القعدة سنة أحدى وأربعمائة وهو ابن أثنين وعشرين سنة .

(٣) ابن حزم : طوق الحمامة ص ١١٦ .